ملف الندوة

العراق في الاستراتيجية الامريكية

الاهداف والنتائج

م. د. عماد مؤيد جاسم

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

إن أي معالجة موضوعية للاستراتيجية الاميركية الراهنة تجاه العراق لا بد وان تتطرق الى التحولات الفكرية والتغيرات السياسية الاقليمية والدولية التي رافقت تبلور رؤى جديدة للسياسة الخارجية والاستراتيجية الاميركية على حد سواء ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان موقع العراق ضمن هذه الاستراتيجية يبدو وكانه حجر الزاوية في بناء نظام أمني – سياسي يشمل منطقة الشرق الاوسط ككل ، والمشروع السياسي الاميركي الخاص بالمنطقة لا بد وان يتضمن خطوات مرحلية والعراق هو اولى الخطوات في هذا المشروع وعليه فأن التعرض للاستراتيجية الاميركية تجاه العراق هو تشخيص سياسي للمشروع الاستراتيجي الاميركي الاشمل في الشرق الاوسط .

ان رؤية المحافظين الجدد المعاصرة للسياسة الخارجية الامريكية تمثل تحولاً ضخماً في مواقف الجمهوريين التقليدية السابقة التي كانت تميل الى العزلة الدولية واليأس فيما يتعلق بنشر الديمقراطية والقيم الامريكية على المستوى الدولي ، الا ان الظروف الدولية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها دفعت الولايات المتحدة والجمهوريين إلى لعب دوراً اكثر جراءة ونشاطاً وتدخلاً على الساحة الدولية ، ولكن بقى كبار صناع السياسة الخارجية الامريكية الجمهوريين مثل (هنري كسينجر) يؤمنون بالواقعية السياسية والتي

تنظر إلى العلاقات الدولية بالأساس كصراع قوى ومصالح ولا تهتم كثيراً بالرؤى الاخلاقية مثل نشر الديمقراطية وحقوق الانسان في العالم .

وقد بدأ فكر (المحافظين الجدد) يتشكل في السبعينات من القرن العشرين على مبدأين أساسيين وهما : رفض انعزالية الديمقراطيين ورفض واقعية الجمهوريين ، والبحث عن سياسة خارجية امريكية تضمن هيمنة الولايات المتحدة عالمياً وتنشر قيمها الاساسية كالديمقراطية وحقوق الانسان .

ويمكن تلخيص رؤية (المحافظين الجدد) لسياسة أميركا الخارجية في عدة نقاط سياسية ، مع الاشارة الى ان هؤلاء المحافظين قد طبعوا الاستراتيجية الاميركية المعاصرة والسياسة الخارجية بطابعهم الخاص :

1- المناداة بان تلعب امريكا دوراً قيادياً على الساحة الدولية مستغلة وضعها كقوة عظمى وحيدة في الفترة الراهنة وللحفاظ على هذا الوضع والاستفادة منه لأكبر فترة ممكنة ، فبعد الحادي عشر من سبتمبر ركز المحافظون الجدد على السياسات العسكرية والامنية كأساليب اساسية لتنفيذ الرؤى والاهداف الامريكية ، كما نادوا ايضاً بفكرة انه يحق للولايات المتحدة توجيه ضربات وقائية للدول التي تمثل تهديداً محتملاً للولايات المتحدة وعدم الانتظار حتى يكتمل تهديد هذه الدول لأمريكا .

2- يؤمن المحافظون الجديد بأهمية ان تعمل الولايات المتحدة على نشر قيم الديمقراطية وحرية الانسان وبناء المجتمع المدني والمؤسسات السياسية من خلال سياستها الخارجية وان تقرن مساعدتها وضغوطها على دول العالم المختلفة بتبنى هذه الدول للقيم الأمريكية وتنفيذها داخل مجتمعاتها ونظمها السياسية .

3- أن احد الركائز الاساسية لفكر المحافظين الجدد في الفترة الراهنة هو تمركزهم حول المصالح الامريكية – الاسرائيلية بشكل مفرط ، وقد عبر المحافظون عن

هذه الرؤى في مواضع مختلفة من اهمها (مشروع القرن الامريكي الجديد New American – Century ، وهو مشروع اسس في عام (1997) للبحث في سبل دعم القيادة الامريكية للعالم ، ويرأسه (ويليام كريستول) ، ويضم من بين الموقعين على إعلان مبادئه الاساسي مجموعة من كبار قيادات المحافظين الجدد وكبار رجال السياسة على رأسهم (ديك تشيني ، ودونالد رامسفيلد وجيب بوش ، واليوت ابرام ، وفرانسيس فوكوياما، ولويس ليبي ، ودان كويل ، وبول ولفويتز) ، وفي هذا الاطار روج المحافظون الجدد على موقع (القرن الامريكي الجديد) وفي مجلة (ويكلي ستاندارد) وفي مناسبات اخرى عديدة لفكرة ان تقوم امريكا بغزو العراق والاطاحة بنظام صدام وبناء دولة جديدة يمكن الاعتماد عليها بشكل كبير كمركز ثقل سياسي في المنطقة ، وذلك لحماية امن وسلامة إسرائيل وحماية وضمان وصول امريكا الى نفط الشرق الاوسط ، ومن ثم تنطلق الولايات المتحدة من العراق الجدد لبسط نفوذها على المنطقة وفرض تحولات سياسية داخلية على دول المنطقة الرئيسة وعلى رأسها مصر والمملكة العربية السعودية ، والضغط على سوريا وإيران ، وإيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي ، وتقليل اعتمادها على نفط المملكة العربية السعودية ، وبذلك يعتبر غزو العراق بالنسبة للمحافظين الجدد عبارة عن خطوة اولى على طريق طويل ينتهي باعادة تشكيل الشرق الاوسط بأكمله .

لهذا السبب ، نجد ان الاستراتيجية الامريكية المعاصرة اخذت بتبني مبدأ تغيير انظمة الحكم في العالم النامي وبالاخص العربي كجزء من اجندتها السياسية الخارجية ، ويبدو أن الفلسفة الكامنة وراء الفكر يمكن ان تتبدى من ثنايا ماكتبه (نورمان بودهيرتز) الذي يعد بمثابة الاب الروحي لمعسكر المحافظين الجدد عندما اصدر مذ كرة بتغيير مجموعة كبيرة من انظمة الحكم في الشرق الاوسط واعتبار هذه الانظمة تمثل (محور للشر) ، اذ طالب (بوهيرتز) الولايات المتحدة بالتحرك المنفرد من اجل الاطاحة بهذه

الانظمة الحاكمة واقامة حكومات اكثر ديموقراطية على الطراز الذي كان يدعو له الرؤساء الامريكيون السابقون امثال (توماس جيفرسون ، وودرو ويلسون) ، ولكن ما يريده المحافظون الجدد في واشنطن ليس مجرد اجراء تحولات سياسية في الشرق الاوسط بل الهدف النهائي لهذه اللعبة التي يمارسونها في الشرق الاوسط هو اجراء تغيير جذري داخلي .

ويبدو ان حجم الاكلاف التي دفعتها الولايات المتحدة مالياً وبشريا تفيد ان هناك غايات ومشروع اكبر من العراق يرتهن بالانموذج الفكري الذي تريد واشنطن اسباغه على الشعوب الاخرى واستراتيجي يتعلق باحتمالات المواجهة مع قوى عالمية واقليمية مهمة واقتصادي يتعلق بالرغبة في التحكم بموارد الطاقة واستغلالها، كما ان سعي الولايات المتحدة الى بناء قاعدة سياسية – عسكرية في العراق امر تفرضه دواعي التحرك نحو الامساك بخيوط التفاعل الدولي من خلال السيطرة على اهم المفاصل في العالم اليوم ، اذ ان النظام الدولي يتجه ولاسباب تتعلق بطبيعة عناصر القوة وتحولاتها نحو مزيد من التعددية وانخفاض متزايد في القيمة السياسية لتأثير الولايات المتحدة وتحكمها بالنظام العالمي ، ولضمان ديمومة الريادة العالمية فأن الولايات المتحدة اتجهت :

اولاً: الى تبني اسلوب العمل على تقوية عناصر القوة سواء ماكان منه عناصر ذاتية ام ما كان منه بفعل استثمار لتناقضات البيئة الدولية وتطوير قدرات عسكرية لزيادة فجوة الامكانات العسكرية مع القوى المنافسة .

وثانياً: العمل على التدخل في تحديد مسارات التطورات الدولية وعبر عدم السماح للقوى الاخرى بالنهوض واحتلال مراتب دولية تفوق مرتبة الولايات المتحدة من خلال الاستيلاء على اقاليم مفصلية في علاقات القوى تكون قريبة من منافسيها المحتملين (كثل : روسيا ، الهند والصين وحتى ايران) ونشر منظومة اسلحة وقواعد عسكرية واستخباراتية فيها لتكون قواعد هجوم ودفاع متقدم عن مصالح الولايات المتحدة ،

والعراق واحد من هذه المفاصل الاستراتيجية ان يكن اهمها ، اذ يصعب تجاوز موقع العراق الجغرافي المؤثر في علاقات التوازن الاقليمي ، والسيطرة عليه تضمن التأثير الدائم في علاقات القوى في المنظمة او ضبطها .

ومن الناحية الفكرية والايديولوجية فأن الحرب ضد العراق تمثل تجسيدا لمبدأ (لحرب الوقائية) الذي اعلنه الرئيس بوش في (استراتيجية الامن القومي) ، كما لاحظ استاذ التاريخ في جامعة ييل (بول كيندي) من ان ما نراه الان هو محاولة امريكية لتقليص النفوذ الفرنسي والالماني والروسي في المنطقة العربية لحساب النفوذ الامريكي القادم من وراء البحار فأمريكا تسعى الى تأمين الوصول الى منابع البترول والحصول على حق اقامة قواعد عسكرية برية وجوية في المنطقة .

ولكن اللافت للنظر ان القوة التي دشنت هذا التغيير الجيو – سياسي ، وهي الولايات المتحدة الامريكية ، بأسقاطها نظام طابان في افغانستان (2002) وبعده نظام صدام حسين في العراق (2003) ، لم تستطع التحكم بالتداعيات الناجمة عن هذين الحدثين في المنطقة ، من باكستان الى لبنان ، بسبب انتهاجها سياسات الفرض القسري ، وعدم مراعاتها لمجتمعات هذه المنطقة ونمط ثقافتها ، وطريقة رؤيتها لذاتها ولمصالحها ، وبسبب اعتمادها القوة كوسيلة لاحداث تغييرات في واقع هذه المنطقة دون التبصر بالانعكاسات السلبية التي يمكن ان تنجم عنها .

ولعل التطور الابرز في هذه التداعيات يتمثل بصعود نفوذ ايران في العراق ، وفي عموم الشرق الاوسط ، وتحديها للنفوذ الامريكي فيه ، بشكل غير مسبوق ، بحيث ان الادارة الامريكية اخذت بمراجعة بعض سياساتها في هذه المنطقة ، من مداخل عدة يتمثل اولها بمحاولة تفعيل علية التسوية بين اسرائيل والفلسطينيين ، على اساس رؤية الرئيس بوش بشأن حل الدولتين ، ومبادرة السلام العربية .

وثانيها يتمثل بالتراجع عن مشروع (نشر الديمقراطية) ، وتابعة اصلاح او تغيير النظم السياسية ، في المنطقة العربية ، وهما اساس مشروع (الشرق الاوسط

الكبير)، وذلك الصالح العودة الى السياسة الامريكية التقليدية ، التي كانت اتبعتها الولايات النتحدة في الشرق الاوسط (منذ عقود عدة)بشأن الحفاظ على استقرار الانظمة الحليفة السائدة ، بغض النظر عن طبيعتها ، وعن سياساتها الداخلية .

وثالثها يتمثل بمحاولة توحيد الدور العربي في مواجهة النمو المتزايد للنفوذ الايراني في الشرق الاوسط ، على اعتبار ان هذا الخطر يتهدد معظم الانظمة العربية في هذه المنطقة ، ولاشك ان دعوة السفير الامريكي في بغداد (رايان كروكر) للدول العربية لفتح سفاراتها في العراق من اجل موازنة النفوذ الايراني يأتي ضمن هذا السياق السياسي وتتركز الادعاءات الامريكية هنا على اعتبار ايران دولة دينية ، وداعمة للجماعات الارهابية ، وتسعى اتسعير الفتن المذهبية في المنطقة مما يهدد وحدة مجتمعاتها ويقوض الاستقرار فيها ، وانها تحاول الهيمنة على الشرق الاوسط بسعيها لامتلاك السلاح النووي وباستخدامها ذريعة الصراع العربي الاسرائيلي لدعم الجماعات المسلحة الموالية لها .